مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع١ ص ص: ١٧٧- ٢٠٩ (٢٠١٩م)
DOI:10.4197/Art.27-1.6

موضوعات علم المعاني في سورة القلم
(دراسة بلاغية)

د. سارة بنت نجر العتيبي
استاذ مساعد – جامعة شقراء

مستخلص. تناولت في هذه الدراسة :

١. توضيح بعض ما يتعلق بسورة القلم .

٢. ثم بدأت في تناول نظم السورة بدءاً بالجزء ، وهو الحرف، وضرب الأمثلة الممكنة عليه من السورة ثم بالكلمة، وذكر بعض أنواعها، وسبب اختيار صيغ معينة دون الأخرى، أو أفعال دون أخرى.

٣. ثم نمى البحث نمواً مطرداً، فبدأت البحث بالجملة وأنواعها وعلاقاتها الداخلية من تقديم وتأخير وحذف وذكرٍ وتعريف وتنكير وخبر وإنشاء.

٤. وبعد ذلك نظرت في تراكيب الجمل وما بينها من وصل وفصل، وما فيها من إيجاز وإطناب ومساواة.

وقد حاولت في بحثي هذا التعريف بكل فن من علوم المعاني صادفني في السورة، واكتفيت بذكر بعض الشواهد، ولم أتطرق في شواهد الفن البلاغي في السورة جميعها.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه القرآن معجزاً لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي خصّه الله بالدين الخاتم والكتاب المعجز.

وبعد فقد كثرت المؤلفات التي تسعى لبيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، واجتهد علماء المسلمين بحثاً في ذلك وتنقيباً، فكثرت المؤلفات، حتى لا يدركها حد، وما زالت المؤلفات مستمرة، وتأتي بجديد لم يُكتشف وغريب لم يُعرف وعجيب لم يُطرق.

ومن أوجه إعجاز القرآن ما فيه من جمالٍ بياني وبلاغة رائعةٍ لا ترقى إلى مثلها بلاغة ولا فصاحة، وقد أخذ هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم حقه من التأليف، حتى وضع العلماء علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، ولا يزال الباحثون يستخرجون ويستكشفون من عناصر إعجاز القرآن ما لم يتوصل له السابقون.

وقد أخترت لهذا البحث أن يكون مبحراً في بلاغة سورة القلم.

وكان **المنهج** المتبع في هذه الدراسة العودة لكتب التفسير لبيان معنى الآية ثم كتب البلاغة لتعريف الفن لغة واصطلاحا وذكر اقوال بعض العلماء في الفن وقد اعتمدت في التعريف على الاستقراء الشامل ثم اختيار الأظهر منها. وبعدها استخرج الفن من الآية وابرز موطن الشاهد واشرحه.

وكانت الدراسة مقسمة على النحو التالي:

١-**تمهيد ويشمل:** -

أ. البلاغة القرآنية. ب - سورة القلم والتعريف بها .ج .علم المعاني ومفهومه عند البلاغيين.

الفصل الأول: الحرف والكلمة في السورة.

الفصل الثاني: التراكيب:

أ. في الجملة. ب- بين الجمل.

الخاتمة وتشمل :أ-خلاصة البحث

٢- نتائج البحث

وأخيراً فهارس البحث.

التمهيد

أ- البلاغة القرآنية:

البلاغة: لغة هي الوصول والانتهاء، من بَلَغ الشيءُ يبْلُغُ بُلُوغاً وبلاغاً[(١)]، يقول أبو هلال العسكري : " البلاغة من قولهم بَلَغْتُ الغاية إذا انتهيت إليها وبلَّغْتُها غيري، ومبلغُ الشيء ومنتهاه، فسميت البلاغة بلاغة؛ لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع، فيفهمه"[(٢)].

والبلاغة اصطلاحاً: البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[(٣)].

ب- سورة القلم:

أ. تعريف عام بالسورة:

سورة القلم ثاني سورة نزلت في القرآن الكريم، وعدد آياتها اثنان وخمسون آية، وكلماتها ثلاثمائة كلمة، وحروفها ألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً[(٤)]، وهي

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، مادة: ب ل غ.

(٢) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد اليحاوي، محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ص١٢.

(٣) انظر: الإيضاح، للقزويني، شرح وتعليق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، الطبعة السادسة، جـ١/ ص٨٠- البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ،ج١/ ص٥٨.

(٤) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد محمد عبدالكريم الأشموني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ص٦٦٣- تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير، للخطيب الشربيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص٣٤٩- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، محمد علي طه الدرة، منشورات دار الحكمة، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، الجزء الأخير: ٥٥.

مـن السـور المكيـة التـي تعنـى بأصـول العقيـدة والإيمـان، نزلـت فـي الفتـرة التـي اشـتدت فيهـا عـداوة قريش للنبي ﷺ ، لعجزهم عن تحديد في الإتيان بمثل هذا القرآن، وإيمان الناس به واتباعهم إيَّاه.

وقد تناولت هذه السورة ثلاثة موضوعات أساسية، هي:

١. موضـوع الرسـالة والشُّبه التـي أثارهـا كفـار مكـة حـول دعـوة محمـد بـن عبـدالله ﷺ ، واتهـامهم إيّـاه بـالجنون، وتبرئـة الله لـه مـن كـل وصـف لا يليـق بـه، وإثبات كمالاته في الدنيا والآخرة.

٢. تحذير أهل مكة من غضب الله وإزالة النعم التي يرفلـون فيهـا، وضـرب الأمثلـة لهـم، كقصـة أصـحاب الجنة الذين بدلوا ما كان عليه أبوهم، فبدل الله ما هم فيه؛ لكفرهم بنعم الله.

٣. المقارنة بين أحوال المجرمين والمؤمنين، وتوبيخ المشركين علـى أحكامهم الفاسدة، كما هددت السورة المكذبين بـالقرآن الكريم، وبرسـالة محمـد، ثـم ذكـرت الآخرة وأهوالها وشدائدها.

وقـد ورد فـي آخـر السـورة أمـر للنبـي ﷺ بالصـبر فـي تبليغ الدعوة وتلقي أذى قومه، وعدم الضجر من ذلك ضـجراً يعاتبـه الله عليـه، كمـا عاتـب فيـه يـونس عليـه السلام[(١)] .

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطـاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج٢٩:٥٨.

أمـا عـن المحـور الـذي تـدور عليـه السـورة فهـو إثبات نبوة النبي محمد ﷺ[(٢)] .

ومـن أغـراض السـورة التـي جـاءت بهـا التحـدي بمعجـزة الأميّـة لقولـه تعـالى: ﴿ **ن وَالْقَلَـمِ وَمَـا يَسْـطُرُونَ** ﴾ القلـم: ١، وأمـا ابتـداء السـورة بخطـاب النبــي ﷺ فتأنيسـاً لــه وتسـلية عمـا لقيــه مـن أذى المشركين[(٣)] .

١- اسمها: سميت هذه السورة في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري بـ " سورة نَ والقلم" كما سماها الترمـذي فـي جامعـه وبعـض المفسـرين سـورة " ن" بالاقتصار على الحرف المرفد الذي فتحت به ، وهي أول سورة نزلت مفتتحة بحرف من حروف الهجاء[(٤)] .

وسميت بـالقلم لافتتاحها بمـا أقسم الله بـه وهـو القلـم؛ وذلـك تعظيمـاً لـه[(٥)] ، كمـا سميت بـ " ن والقلم " على حكاية اللفظين الواقعين في أول السورة.

معنى " ن " :

أُختلف في معنى هذا الحرف، كما أُختلف في جميع الحروف المفتتح بها السور، فقيل هو لوح من نور، وقيل هو لقب لحوت عظيم يحمل الأرض.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، جزء تبارك، الجزء الأخير: ص١٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: جـ٢٩، ص٥٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ص٥٧- نظرات حديثة في التفسير، ص٧١- البحر المحيط، لابن حيان، ج٦ص٣٠٤- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ص٤٩.

(٥) انظر: التفسير المنير، ص٤٩.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النون هو الدواة التي يوضع فيها الحبر للكتابة، وعنه أيضاً أن نوناً حرفٌ من حروف الرحمن. وقيل هو اسم للسورة[(١)].

ويرى المحققون فيها أنها إشارة إلى إعجاز القرآن، حيث أعجز العرب بفصاحته، رغم تركيبه من هذه الحروف الهجائية التي يتألف منها كلام العرب[(٢)].

وقيل إن الحرف أو الكلمة " ن " هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ثم الراسخون في العلم، هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فإن لهذا الحرف أثره في شكل النظم التي جاءت عليه السورة، حيث كانت فواصلها تنتهي بمقطع أشبه بلفظ نون، أي أنه مقطع مكون من ثلاثة أحرف، أولها متحرك، وثانيها حرف مد ساكن، وثالثها حرف ساكن بالوقوف عليه، مما أدى إلى تناسب صوتيٍّ جميلٍ في جوّ السورة العام[(٣)]، وآكد الأقوال إنه حرف من حروف الهجاء.

القلم: هو اسم جنس شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنشور والمنظوم، فالقلم من آيات الله العظيمة التي تستحق أن يقسم بها[(٤)].

نوع السورة وترتيبها: السورة مكية بالإجماع[(٥)]، وهذه السورة هي التالية لسورة " تبارك الذي بيده الملك" وهي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، حيث نزلت بعد سورة " العلق".

ج- علم المعاني:

علم المعاني من المصطلحات التي اطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتنكير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب[(٦)]، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة "المعاني، والبيان، والبديع"، وهذه التقسيمات والمسميات جاءت لاحقاً عند المتأخرين، وقد كانت قبل ذلك وحدة شاملة متكاملة بلا تحديد ولا تمييز، وشيئاً فشيئاً أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال، فأخذت مسائل كل فن بلاغي تتبلور مستقلة، وذلك التخصص والاستقلال كان

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ج/ص٥٥، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام الحافظ أبي القاسم الغرناطي، تحقيق: محمد التونسي، إبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة، ص٢٥٦.
(٢) انظر: صفوة التفاسير، تفسير جزء تبارك، ص٢٥.
(٣) انظر: التفسير القرآن للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ج٢٩/ص١٠٧٦.
(٤) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه: محمد زهري النجار، مطبعة المؤسسة السعيدية، بالرياض، جـ٧/ ص٤٤٣.
(٥) انظر: التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ص٥٧- تفسير جزء تبارك، للصابوني، ص٢١- البحر المحيط، ص٣٠٧- نظرات حديثة في التفسير، ص٧٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥ص٨٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ج٤ ص٥٨٤.
(٦) انظر: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، ص٦٧.

لأسباب منها إعجاز كتاب الله البلاغي، والتعرف على أسرار البلاغة والفصاحة في كلام العرب وأشعارهم.

أما أول من بدأ هذا التخصص في علم المعاني من حيث التسمية والتقسيم فقد قيل إن ابن فارس " ت ٣٩٥هـ" هو أول من سماه؛ لأنه عقد في كتابه " الصاحبي" باباً أسماه [معاني الكلام] ، وقال فيه:

" هي عند بعض أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمني وتعجب"[١] .

ومن أوائل من وضع أسس وقواعد هذا العلم أيضاً عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التي وضعها في كتابه " دلائل الإعجاز".

أما علم المعاني عند الخطيب القزويني فهو يعرفه في كتابه " الإيضاح"، فيقول: " علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتض الحال"[٢] .وقد حصر بحوث علم المعاني في ثمانية أبواب، هي: الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

الفصل الأول

الحرف والكلمة

المبحث الأول:

الحرف

الحرف هو ما دلَّ على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسمٍ أو فعلٍ يصحبه[٣] .

والحروف إما حروف مباني أو حروف معاني، وحروف المباني هي الحروف الهجائية عامة؛ وسميت بذلك لأن الكلمة تُبنى وتتكون صيغتها منها، وأما حروف المعاني فهي الحروف التي تقيد معنىً جديداً ، أو ترد زائدة، أو مكررة للتوكيد[٤] .

وللحرف في القرآن الكريم وظيفته البلاغية التي يؤديها بصورة مؤثرة وواضحة يقول ابن عباس: " الحمد لله الذي قال: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ الماعون: ٥، ولم يقل في صلاتهم"[٥] .

ومن حروف المباني التي وردت في السورة وظهرت مكانتها وأهميتها حرف النون الذي بدأت به السورة، وجاء مناسباً مع جنس ما ورد فيها، فقد ورد أكثر من مائة مرة، وانتهت معظم فواصل السورة بهذا الحرف، وفي كل هذا تحقيقٌ للتناسب التام، حيث تقاربت الأصوات، وغطى التناغم والتلاؤم على الجو العام

(١) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ص٧٧، نقلاً عن الصاحبي، ١٧٩.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب العربي، ص٨٤.
(٣) انظر: شرح المفصل، لموفق الدين ابن علي بن يعيش النحوي، مكتبة المتنبي، القاهرة، ج٨/ ص٢.
(٤) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ج١/ ص١٣، ٦٦.
(٥) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣٩٤/٢.

للسورة، فأحدث في النفس نوعاً من الاطمئنان والراحة النفسية للقارئ والسامع معاً، فيصبح الأثر في النفس كبيراً، وبالتالي يكون التأثر عميقاً.

وقد ورد حرف النون في السورة بأشكال مختلفة، حيث جاء نون إعرابٍ ونون ضميرٍ ونوناً أصلية وغيرها، واشتملت السورة على صيغ كثيرة للتوكيد فأكد كثير من الآيات بـ " إنّ" المشبهة بالفعل، وبنون التوكيد، ولا يخفى ما في ذلك من المناسبة للجو العام في السورة.

ومن الحروف التي كثر ورودها في السورة حرف الواو الذي جاء حرفاً في المبنى كما جاء حرف معنى، فقد ورد حرف الواو في السورة حرف مدٍّ قبل الحرف الأخير في الفاصلة، وغالباً ما يكون الميم أو النون، كما في قوله تعالى: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ القلم: ١ – ٣.

وقد أدى هذا التوافق في المقاطع إلى اتحاد النغم فيها، وأوجد تقارباً بينها ساعد على جعل نسق القول واحداً، ولما كانت هذه الكلمات: يسطرون، مجنون، ممنون، وغيرها في الآيات يوقف عليها بالسكون ومسبوقة بحرف المد" الواو" أصبح هناك وحدة في الجرس؛ لأن للسكون بعد المد وقعاً ترتاح له الأذن.

وهذا التوافق جعل الجمل مؤتلفة متفقة، فجاء كلام الله فوق كل بيان، كما أن مجيئه كحرف عطف بين بعض الآيات دلّ على وجود جهة جامعة رابطة بينها، فناسب ذلك الجو العام في السورة.

ومن الحروف التي وردت في هذه السورة وكان لها وقع بلاغي مؤثرٌ " كاف" الخطاب التي جاءت مضافة إلى رب في ثلاث آيات في السورة، وكان الخطاب فيها موجهاً إلى الرسول ﷺ ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ القلم:٢، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ القلم:٧، وقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** ﴾ القلم: ٤٨.

فقد أضاف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم إلى ذاته المقدسة في تعبير يوحي بالقربى والمودة، وفيه عطف وإيناسٌ وتكريمٌ له ووعدٌ بأن يحيطه بنعمته، وفيه تكريم وشرف بمخاطبته دون البشر، كما أن فيه دليلاً على عظمة مكانته عند الله، وعلو منزلته ((والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو إلى غاية لا غاية وراءها)) [(١)].

ومن حروف الجر التي وردت في السورة، وأثرت في المعنى حرف "الباء" في قوله تعالى: ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ القلم: ٢ ، حيث تفيد "الباء" المرتبطة في كلمة نعمة معاني كثيرة، منها

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٢٤.

نفي التهمة عن الرسول؛ لأن الباء جاءت بعد النفي، والباء بعد النفي تفيد تأكيد هذا النفي، أي فأنت بسبب هذه النعمة بعيدٌ عن هذه التهمة[١].

وأما " الباء" المرتبطة في كلمة مجنون فقد " أقامت حجازاً فاصلاً بين النبي وبين إسناد الجنون إليه، فأضاف للحاجز الأول" ما أنت" حاجزاً جديداً هو حرف الجر، فنفي الجنون عنه ﷺ كان يتحقق مع عدم ذكر حرف الجر، بأن يجيء النظم هكذا" ما أنت مجنون" ، فإن فيه مواجهة للنبي بهذه الصفة التي هي أبعد الصفات منه ﷺ، لذلك جاء مع نفي الصفة عن النبي هذه المباعدة المادية بينه وبينها، وفي هذا تأكيد للحقيقة التي جاء بها القرآن، وهي بعد النبي بعداً معنوياً وحسياً عن أن يلم بحماه الكريم شيء يمس عقله"[٢].

وقد جاءت جملة " بنعمة ربك " معترضة؛ للإسراع في بيان أن تلك النفس المحمدية هي في حصن وسلامة من الآفات والنقائض بفضل الله ومنته ونعمته[٣].

والفاء في قوله تعالى: **(فلا تُطِعِ الْمُكذِّبِين)**

لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم.

المبحث الثاني

الكلمة

الكلمة: هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف[٤]. وتنشأ الكلمة من انضمام الحروف بعضها إلى بعض، فإذا كانت الكلمة مفردة دلت على شيء جزئي، أما إذا تعددت الكلمات وانضمت فإنها توصلنا إلى المعنى الكلي.

والاسم: كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس. **الفعل:** ما دل على اقتران حدثٍ بزمان[٥].

والحرف: وقد سبق الحديث عنه في مبحث الحرف.

والكلمة في النظم القرآني لها مكانتها العظيمة، فهي بمثابة واسطة العقد، ذلك أنها الأساس الذي يعتمد عليه التركيب، والنظم القرآني يختار الكلمة بعناية دقيقة، حتى أنه لا يمكن أن تحلّ مكانها كلمة مرادفة، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ** ﴾ الأعراف: ١٤١، تجده قد اختار الفعل ذبح، مصوراً به ما حدث، وضعف عينه

---
(١) انظر: التحرير والتنوير، ٦١/٢٩- نظم الدرر، للبقاعي، ٩٥/٤.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، ٢٩، / ص١٠٧٩.
(٣) انظر: نظرات حديثة في التفسير، ص٧٤.

(٤) انظر: شرح المفصل، لابن يعيش، جـ١/ص١٨.
(٥) شرح المفصل، لابن يعيش، ج٧/ ص٢.

للدلالة على كثرة ما حدث من القتل في أبناء بني إسرائيل، ولا تجد ذلك مستفاداً إذا وضعنا مكانها كلمة يقتلون[(١)].

وقد تكاثفت أنواع الكلمة في هذه السورة، فخرجت متآلفة مترابطة في تأدية الغرض منها، ومن شواهد الكلمة في السورة:

١- **الاسم:** كثر ورود الاسم في هذه السورة، سواء أكان ذلك الاسم، أم صيغ الأسماء المشتقة التي على وزن فاعل أو مفعول أو فعيل أو غيرها من الصيغ المختلفة.

ومن الأسماء المشتقة التي ورد منها في السورة عدد غير قليل صيغة المبالغة.

وصيغة المبالغة: هي التي تدل على المعنى وصاحبه ودرجة الصفة فيه من حيث الكثرة والقوة[(٢)]، ومن شواهده في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣)** ﴾ القلم: ٩ - ١٣، حيث وردت صيغة المبالغة في هذه الآيات القصيرة ست مرات على وزن فعال، منها أربع صيغ، هي " حلّاف – همّاز – مشّاء – منّاع"، واثنتين على وزن فعيل، هما " أثيم – زنيم ".

(١) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص٥٨.
(٢) انظر: النحو الوافي، جـ٣/ ٢٥٨.

ولعل السبب الرئيس من كثرتها هو التأكيد على وجود هذه الصفات وثباتها حتى أصبحت علماً يعرف به عدوّ الله، ومن هذه الصيغ التي سنحاول – بإذن الله – تحليلها هي قوله تعالى: (همّاز) ، حيث ورد في مقاييس اللغة: الهماز: العيّاب[(٣)]، وفي لسان العرب الهمّاز: الذي خلف الناس من ورائهم، ويأكل لحومهم[(٤)].

والهُمزة: الذي يهمز أخاه في قفاه بالغيب، وهمز الشيطان همزاً: أي همس في قلبه وسواساً، وأصل الهمز من الغمز باليد أو العصا في الرأس أو سائر البدن، ووجه المشابهة بين الكلمة وأصلها أن كلتيهما تضغطان وتؤثران وتنبهان المغموز والمهموز، وتتركان أثراً في نفسه.

وقد جاء الهمز في الآية بهذه الصيغة تعبيراً عن شدتها في الموصوف، وتمكنها منه حتى كانت له علامة يُعرف بها، فآثر النظم القرآني لفظة همّاز على لماز رغم تقارب المعنى الأصلي بينهما لأغراض بلاغية ومعانٍ يستطيع المتأمل استخراجها بالتروي والتفكير، فالهمز نجده مخصوصاً بالغيبة، أما اللمز فمخصوص بالمواجهة[(٥)]. وفي اللسان اللمز: كالغمز في الوجه، ورجلٌ لُمز: يعيبك في وجهك، والأصل في اللمز الإشارة بالعين والرأس

(٣) مقاييس اللغة، لأبي الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د. عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالث، ج٢، مادة: هـ . م . ز.
(٤) لسان العرب ، مادة: هـ. م. ز.
(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري، ج١٠١/٤.

والشفة مع كلام خفي، أما الهمز فيكون في الغياب، واللماز المُغتاب بالحضرة[١].

وكما نلاحظ أن الغمز واللمز يتفقان في أنهما معايبة على الناس وسخرية بهم، ولكنهما يفترقان في أن اللمز يكون في حضرة المهموز بالإشارة بالعيني والشفة والرأس، مع كلام خفي، والهمز يكون باللسان فقط وفي غياب المهموز. وقد يكون ذلك الوصف دالاً على صفة أخرى، وهي جبن ذلك الهامز عن المواجهة علناً، فمشى بها سراً بعيداً عن مهموزه، كما تدل على كذبه وافترائه وبعده عن الحق ، ((وقد كره الإسلام خلق الهمز أشد الكراهية، فهو يخالف المروءة ويخالف أدب النفس ويخالف الأدب في معاملة الناس وحفظ كراماتهم لذلك نجد القرآن كرر ذم هذا الخلق في غير موضع)) [٢] حرصاً منه على تربية الجانب الأخلاقي للمسلمين.

وهكذا نلحظ أن كل كلمة في القرآن الكريم تُساق لتؤدي المعنى المطلوب منها تماماً، بحيث تعجز أي كلمة أخرى عن القيام به، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن الأسماء المشتقة التي وردت في آيات السورة اسم الفاعل الذي يدل على معنى مجرد وفاعله وعلى معنى ثابتٍ بوجود قرينة، ومن شواهده في السورة **﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾** القلم: ٤٣، فاسم الفاعل خاشع، ومعناه اللغوي خشع بصره، أي انكسر[٣]، فالخاء والشين والعين أصل واحد يدل على التطامن[٤].وقد جاءت هذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ المرادفة، لأنها تعبر تعبيراً دقيقاً عن حالة هؤلاء أكثر من غيرها من الكلمات، فلو نظرنا إلى كلمة مشابهة ومقاربة، وقارنا بينهما لمعرفة سبب تفضيلها لأدركنا السبب، فمثلاً كلمة " خضع – خاضعة" يمكن أن تحل محل خاشعة، لو لم نكتشف ونعرف الفرق بينهما، فالخضوع معناه التواضع والتطامن، وفيه معنى الخشوع إلا أننا نجد أن الخضوع قد خُص بالبدن، والخشوع يأتي في البدن والصوت والبصر والقلب والفكر[٥]، ولما كان الخشوع متصلاً بالبدن والصوت والبصر، والخضوع بالبدن فقط اختار النظم الخشوع؛ لأنه أكثر أثراً إلى جانب أن الخشوع يظهر أثره في الإبصار، فالعز والذل يتبين في نظر الإنسان، وقد تملك المكذبين الذل، وبدا على سيماهم ، وظهر أثره في نظراتهم[٦].وقد رسم الله هيئتهم مفصلة، فبدأ بالإبصار، وهو من أهم حواس الإنسان، وبين ما فيها من انكسار يتبعه انكسار يظهر في باقي الجسم **﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾** القلم: ٤٣ .فهؤلاء المتكبرون والمتبجحون بأبصارهم الخاشعة والذلة المرهقة هم

---

(١) لسان العرب، مادة هـ. م. ز – و – ل. م. ز.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، م٦، جـ٢٩/ ص٣٦٦٣.
(٣) انظر: لسان العرب، مادة خ. ش. ع.
(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، جـ٢/ مادة خ. ش. ع.
(٥) لسان العرب، مادة خ. ش. ع و خ. ض. ع.
(٦) انظر: محاضرات في تفسير القرآن، نور الدين عتر، ص١٦٦.

أنفسهم أصحاب الهامات الشامخة والكبرياء المنتفخة في الدنيا الذين ينظرون إلى الرسول الكريم معارضين ممانعين، وفي أبصارهم عداوة ورغبة بالضرر، ويتسابقون في إلحاق الأذى به، حتى ولو بالعين ﴿ **وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ** ﴾ القلم: ٥١ ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فيكسر هذه الأبصار، ويذل أصحابها حتى لم يعودوا قادرين على رفعها.

ومن أنواع الكلمة في آيات السورة الأسماء المشتقة، ومنها اسم المفعول " ممنون" في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾ القلم: ٣، فكلمة ممنون جاءت على وزن مفعول، وهي من الأسماء المشتقة التي يدل استعمالها على استمرار الحدوث، والأصل في ممنون: منن منّ منّه يمنّه منّا أي قطعه، وحبل منين مقطوع، والمنّ يعني القطع، ومنَّ فلان على فلان ، إذا عظم الإحسان وفخر به، وأبدأ فيه، وأعاد حتى يُفسده ويُبغضه[(١)] ، فممنون مشتق من منَّ المعطي إذا عدّ عطاءه وذكره أو افتخر عليه، وهذا يسوء المُعطي ويؤذيه، أو مشتق من قولهم: من الحبل إذا قطعه، " أي أجراً غير مقطوع"[(٢)] ، وهو الثواب المتزايد كل يوم، أي الأجر الأبدي في الآخرة. وقد ذكرت كلمة " ممنون" في الآية دون غيرها من الكلمات التي يمكن أن تؤدي معنى القطع، مثل كلمة " مجذوذ" التي وردت في قوله تعالى: ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ هود: ١٠٨ ، وهي كلمة مشتقة من " الجذ" ، وهو القطع المتأصل[(٣)] ، وربما يكون السبب في إيثار كلمة " ممنون" على " مجذوذ" أن كلمة " ممنون" جمعت أكثر من معنى ، فهي تعني عطاءً مستمراً دائماً غير مقطوع، وعطاء غير مكدر بالمنّ، فيكون في الكلمة إيجاز بجمعها المعنيين بخلاف كلمة " مجذوذ". وقد ذكرت التفاسير أن المنّ المذكور على رسول الله ﷺ يكون من جهة الناس؛ لأن عطاء الله لا منّ فيه، فهو أكرم الأكرمين، ومن شيم الأكارم عدم المنّ[(٤)] ، وفي هذا الجمع تكريم لرسول الله ووعد بالأجر المتصل الدائم جزاء " صبرة وجهاده، وهذه فيها تسلية وتعويض عن كل هفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون"[(٥)] . وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا كله في الآية بـ " إن، ولام الابتداء" وبتقديم الجار والمجرور في " لك"، كما جاءت كلمة " أجراً" نكرة؛ ليذهب الخيال في تصور هذا الأجر كل مذهب، فهو يشمل ثواب الله في الآخرة، وعنايته به ونصره في الدنيا.

وتفيد المؤكدات المذكورة بأن لك لأجراً دائماً موصولاً لا ينتهي ، ولا ينقطع ولا منَّ فيه؛ وذلك غاية ما يكون عليه الثواب الجزيل والإكرام.

---

(١) لسان العرب، مادة: م . ن. ن- المفردات ، للراغب، ص٤٧٤.
(٢) التحرير والتنوير، ٢٩/ ص٦٣.
(٣) لسان العرب، مادة: ج ذ ذ ، معجم المقاييس، جـ١/ص٤٠٩.
(٤) انظر: روح المعاني، ج / ٢٤- التحرير والتنوير، ٢٩/ ٦٣ – التفسير القرآني للقرآن :٢٩ /١٠٨١.
(٥) في ظلال القرآن، م٦، جـ٢٩/ ٣٦٥٥.

٢- **الفعل:**

ومن أنواع الكلمة التي وردت في آيات السورة الفعل، حيث ورد بصيغه المختلفة من أمر وماضٍ ومضارع، وأكثرها مجيئاً في السورة الفعل المضارع الدال على تجدد كفرهم واستمراره، ومن شواهد الفعل التي سنتناولها قوله تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ القلم: ٩.فالفعل المضارع هو ما دل على أمرين معاً، معنى وزمن صالح للحال والاستقبال، ويرتبط هذا بمعنى الفعل في الآية، فالمشركون متطلعون إلى رسول الله في الحال، متأملون في المستقبل يراقبونه وينتظرون منه إشارة بالقول لما يريدون، حتى ينطلقوا مصانعين منافقين، فالتعبير بالمضارع أفاد التجدد والحدوث، وهذا الفعل متكرر منهم وحادث متجدد متى ما رأوا منك مثله. وقد جاء في النظم الفعل " تُدهن" دون غيره من الأفعال، مثل " تُداري" لأسباب اقتضاها المعنى، فالمداهنة في اللسان تعني: المصانعة والملاينة وإظهار خلاف ما يُضمر، أي أن يكون فيها غشٌّ وكذب، بينما المداراة من الملاينة، وحسن الصحبة[١] .وتنطبق المداهنة على حالة الكافرين هنا أكثر من المداراة، فهم لا يريدون منه صحبة حسنة فقط، بل يريدون منه التنازل عن شيء من دينه الذي يؤمن به ويقره، – وهذه خطة سعى أعداء الإسلام لتطبيقها في كل زمان ومكان – ، ولكن الله نجى رسوله منها، وعلى هذا تكون المداراة جائزة والمداهنة

(١) لسان العرب، مادة : د. هـ. ن و د. ر. و.

مُحرمة، فالمداهن يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه[٢] ، فالمداراة تلطف بالإنسان لاستخراج الحق منه ورده عن الباطل وهي لأهل الإيمان، والمداهنة أن تتلطف به لتقره على باطله، وتتركه على هواه وهي لأهل النفاق[٣] ، والمداهن كاذب والمداري مجامل، والرسول أبعد الناس عن الكذب وأنفرهم منه، وهو أفصح العرب، وأفطنهم لما في هذه الكلمة من معاني الغش والكذب، فينصرف عنهم سريعاً، والله تعالى يعلم بأن رسوله بعيدٌ عن ذلك التنازل في الدين، ولكنه ينهاه عن مداهنتهم ليستجلب قلوبهم؛ لأن الرسول بعيد عن أن يطلوا الأمر بطلاء زائف، حتى يقبل هذا الأمر، وإن كان هذا من صفات أعدائه.

ومن شواهده أيضاً قوله تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ** ﴾ القلم: ٣٠، فاستعمال الفعل المضارع – هنا – دفعٌ للسامع لتصور حالة هؤلاء المتلاومين، حيث يدفع استحضار هذه الصورة الفكر للتأمل في معصيتهم وعقاب الله لهم.

وقد استعمل النظم فعل اللوم دون غيره من الأفعال الأخرى مثل الذم والتوبيخ والعتاب والتقريع؛ لأن له دلالة تتناسب مع سياق الآية الكريمة، فالذم فيه تنقي من المذموم، وهو نقيض المدح[٤] ، والذم يكون عن

(٢) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري، :٤٠٩.
(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، الدرة ، ص٦٦.
(٤) لسان العرب، مادة ذ. م. م.

خطأ أو على غير خطأ، أما العتاب ففيه مخاطبة إذلال وتوجد وإشفاق[١]، وغالباً ما يكون بين اثنين، بينما اللوم يكون عند ارتكاب الذنب، والملاومة أن تلوم رجلاً ويلومك[٢]، فاللوم لا يكون إلا على خطأ، وقد يقع هذا اللوم من كبير أو صغير، والمتلاومون هنا مجموعة أخوة كلهم أخطأ إما بالسكوت أو الأمر بالخطأ أو بتزيين ذلك الخطأ، فهذا يقول: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، وذاك يقول: أنت خوفتنا الفقر، وثالث يقول: أنت رغبتنا في جمع المال[٣]. وهكذا نلحظ أن صيغة الفعل المضارع أكثر صيغ الفعل تصويراً لحالتهم، ودفعاً لاستحضار هذه الصورة، وكان الفعل " لام" دون غيره أكثر دلالة على وضعهم الذي هم فيه. **(وإن يكاد)**: وجاء يكاد بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل وعد العدول إلى المضارع: في قوله تعالى: (وَلا يَسْتَثْنُونَ). أي غير مستثنين للتعبير والتنبيه على مكان خطئهم.

الفصل الثاني

التراكيب (الجملة – الجمل)

تتكون التراكيب من الجملة والجمل، فمجموعة الجمل تكوّن التركيب، كما أن مجموعة الكلمات تكوّن الجملة.

(١) لسان العرب، ع. ت . ب.
(٢) لسان العرب، مادة . و. م.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٣٨/٢٩- البحر المحيط، ج٢٩ / ٣١٣.

والقرآن الكريم يعتمد أسلوبه على ترابط الكلمات والحروف والجمل، فيخرج نظمه متناسقاً حسن الترتيب دقيق النظم محكم الترابط ملتحم الأنسجة بريئاً من ضعف التأليف نقياً من تنافر الألفاظ خالصاً من كل تعقيد تسلم الكلمة إلى أختها في الجملة والجملة إلى أختها في السياق بالتآمٍ تامٍ واتساق.

ويتكون التركيب من كلمتين، وذلك في الجملة الواحدة، ويكون بأكثر من ذلك في التركيب، حيث تتسم هذه التراكيب في الجملة والجمل بنسقها المميز في القرآن الكريم الذي جاء معجزاً للبشر، وقد يحدث فيه تقديم أو تأخير أو نحوه، لأغراض بلاغية مؤثرة[٤].

أولاً: الجملة

قال علماء النحو: إن التركيب هو الجملة التي تتركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيدٌ مستقل[٥]، أي جمع بين التركيب والإفادة، ففي قوله تعالى: **﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾** البقرة:

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ج٢: ١٤-١٥-١٦ ، النحو الوافي، ج١/١٣، ١٥، ١٧.
(٥) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، جـ١/ص١٤- النحو الوافي، عباس حسن، جـ١/ص١٥.

٢ – ٥، ترى آيات قد التحم نسجها وارتبط بناؤها ، فالجملة الأولى قد وصفت القرآن بالجمال، والجملة التالية وصفته بعدم اعتلاق الريب به، وفي الجملة الثانية جعله هادياً للذين يخشون الله ويتقونه ومضت الآية الثانية تصف المنتفعين بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمور غائبة، ويؤدون الصلاة ، ويساعدون من حولهم، ويؤمنون بالرسل وبما أنزل عليهم، كل هذا في ترابط قوي بين الجمل وتآلفٍ وتناسق يؤدي إلى التأثير في النفوس والعقول[1] .

الجملة من حيث الاسمية والفعلية:

والجملة نوعان: جملة اسمية وجملة فعلية، ولكل جملة منهما قسمان رئيسان، هما المسند والمسند إليه.

الجملة الاسمية:

تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، فالمسند إليه هو المبتدأ الذي له خبر، والمسند هو الخبر.

والجملة الفعلية:

هي التي تتركب من فعل وفاعل، فالمسند إليه هو الفاعل أو نائبه، والمسند هو الفعل.

وقد استعملت الجملة الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد والحدوث، أما الجملة الاسمية فقد استعملت للثبوت والاستمرار.

ومن شواهد الجملة الاسمية في السورة قوله تعالى: **﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** القلم: ٢ – ٤

فهذه الآيات الثلاثة مركبة من جمل اسمية ليس فيها فعل، ولكنها مناسبة للمقام، فالقرآن يتحدث هنا عن قضية إثبات النبوة وصدق الرسالة وتبرئة الرسول من تهمة الجنون، وإثبات تكريم الله لرسوله وتمكن الدين ومن ثم الخلق العظيم وإثبات أن هذا جميعه ثابت مستمر لرسوله، فاحتاج السياق لما يؤكد ذلك في وجه أهل الشرك والنفاق، فساق مؤكدات متعددة منها " إنَّ " و" لا" الابتداء وتقديم الجار والمجرور، ثم كانت تلك المؤكدات مساقة في مؤكد أشمل، وهو اسمية الجملة، فلا يملك الجاحد إلا التصديق والقبول.

ومن شواهد الجملة الفعلية في آيات السورة، قوله تعالى:(**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ**) ، حيث تركبت الآية من فعل وفاعل ومفعول ومفعول به، وأفادت التجدد والحدوث، فهو نهي مستمر عن طاعة المكذبين كلما حاولوا التأثير على رسول الله وعليه الاستمرار في رفضه لهم.

(١) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص١٠٦.

الجملة في السورة من حيث الخبر والإنشاء:

نشأ الكلام حول مفهوم الخبر والإنشاء في عصر المأمون أثناء حدوث الفتنة حول القول بخلق القرآن على أساس أن ما تضمنه لا يخرج عن واحدٍ من ثلاث: " أمر، ونهي، وخبر"، ومن هنا جاء تحديد المعتزلة لمفهوم الخبر من حيث صدقه وكذبه، وممن أيد ذلك من رجال الاعتزال، وأبدوا رأيهم فيه إبراهيم بن يسار النظّام وتلميذه الجاحظ[(١)].

فقد رأى النظّام أن صدق الخبر يكمن في مطابقته حكمه لاعتقاد المخبر صواباً كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له[(٢)].

أما الجاحظ فقد قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام:

خبر صادق، وهو ما طابق الواقع والاعتقاد .وخبر كاذب، وهو ما خالف الاعتقاد والواقع معاً.

- وخبر لا نسميه صدقاً ولا كذباً، وهو ما طابق الواقع، وخالف الاعتقاد، أو طابق الاعتقاد وخالف الواقع[(٣)].

وقد ذهب الجمهور إلى أن صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا المشهور[(٤)]. وإذا نظرنا في أغراض الخبر وجدناها غرضين:

١. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى فائدة الخبر.
٢. إفادة المخاطب أن المتكلم عالمٌ بالحكم، ويسمى ذلك لازم فائدة الخبر[(٥)].

أضرب الخبر:

١. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحالة يُلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد، ويسمى ضرباً ابتدائياً.
٢. أن يكون المخاطب متردداً في الحكم شاكاً فيه، ويبغى الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده، ليتمكن في نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك، ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبياً.
٣. أن يكون المخاطب منكراً لحكم الخبر، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب درجة إنكاره، من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكارياً.

وقد وردت في آيات السورة جمل خبرية بالأضرب المختلفة، فمن شواهد الضرب الابتدائي في السورة قوله تعالى: ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ**

(١) انظر: علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ص٤٣.
(٢) الإيضاح، للقزويني، ص٨٦.
(٣) الإيضاح، ص٨٧.
(٤) انظر: السابق، ص٨٦.
(٥) انظر: السابق، ص٩١.

نَـائِمُونَ﴾ القلم: ١٩، حيث أراد الله أن يبين لرسوله كيفية إهلاك الجنة ووقت إهلاكها، فذكر لـه أن ذلك تـم بإحاطـة الطـائف بهـا مـن جميـع جهاتهـا لـيلاً، والسامع لا يعلم كيف تم هذا الهلاك ولا وقته، فلم يحتج إلى توكيد الخبر الملقى عليه. أما الضربان الطلبي والإنكاري فقد احتاجا إلى مؤكدات مختلفة، ونتطرق من هذا إلى تعريف التوكيد وذكر أدواته:

التوكيد: التأكيد من أكد العهد والعقد: لغة في وكّده، والتأكيد لغة في التوكيد، وقد أكدْت الشيء وكدته[١] .وقال العلوي: " إن التأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره"[٢] .

أدواته: للتوكيد أدوات وطرق: فأدواته هي: إن، ولام الابتداء، وضمير الفصل، والقسم، وإما الشرطية، وحرفا التنبيه " ألا "و " إما"، والحروف الزائدة: إن، وما ، ومن ، والباء، وقد، والسين ، وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد أو وعيد، وتكرير النفي، وإنما، ونونا التوكيد. أما طرق التوكيد فهي الجملة الاسمية وتقديم الفاعل من حيث المعنى[٣] .

وتكمن فائدة التوكيد وغرضه في إعلام المخاطب بأن المتحدث يقول كلامه جازماً قاصداً ما يدل عليه

(١) لسان العرب، جـ٣/ ص٧٤.
(٢) الطراز: يحيى العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، بمصر، ١٤١٤هـ، ج٢، ص١٧٦.
(٣) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، ج١١٤/١.

كلامه مثبتاً منه، لا يقوله عن توهم، أو ثرثرة واختراع[٤] .

يقول العلوي عن فائدة التوكيد: " إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده"[٥] .

ومن شواهد التأكيد في آيات السورة بالقسم والحروف، قوله تعالى: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ القلم: ١ – ٢ ، حيث دلّ حرف "الواو" على القسم الذي جرى على سنن الأقسام الصادرة في كلام الله تعالى، والتي يجب أن تكون بأشياء معظمة[٦] ، وفائدة قسم الله بجنس القلم تنبيه لخلقه على ما أنعم به على من تعلم الكتابة التي بها تتناول العلوم[٧] ، ودليل على علو مكانة القلم وشرفه، حيث كتبت به الكتب السماوية [٨] ولما فيه من المنافع والحكمة[٩] .كما أفاد هذا القسم بياناً بالإعجاز القرآني، لما فيه من نبوءة علمية للقرآن، حيث استبانت عظمة القلم والكتابة وأهميتها فيما بعد، وفيه إيحاء للمؤمنين ليهتموا بالقراءة والكتابة التي هي أساس التعلم[١٠] ، والقسم كما قلنا من أنواع التوكيد في الكلام، والله يريد توكيداً قوياً يقابل به هؤلاء المكذبين، فجاء القسم هنا رداً

(٤) انظر: البلاغة العربية، جـ١/ ص١٨٦.
(٥) الطراز: ج٢، ص١٧٦.
(٦) انظر: التحرير والتنوير، جـ ٢٩/ ص٦٠.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير ، جـ٤/ ص٤٢٩.
(٨) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٦٠.
(٩) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ص٢٥٧.
(١٠) انظر: تفسير جزء تبارك، أحمد العظمة، ص٣٤.

على ما جاء في كلام المشركين من تأكيدات في قولهم: ﴿ **إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ القلم: ٥١، حيث أكدوا كلامهم " بأن" و" لام الابتداء" ، فجاء الله بمؤكدات أقوى، إذ أقسم عليه، ثم جيء بعد النفي بالباء ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ القلم: ٢، والباء بعد النفي تأكيد لهذا النفي، ثم بالجملة الاسمية الدالة على ثبات الخبر[١] ، فجاء القسم مجلياً للحقيقة، مبيناً لها، ومؤكداً لصدقها ، ولو كره الكافرون. أما القسم عليه فهو ثلاثة أشياء:

١. نفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم.
٢. ثبوت الأجر له صلى الله عليه وسلم.
٣. كونه على أعظم خلق[٢] .

فجواب القسم هو تكذيب لهذه التهمة الحمقاء التي رماه المشركون بها، ونفي هذه التهمة عن الرسول إثبات لما قصد المشركون نفيه، وهو أن يكون رسولاً من الله؛ لأنهم لما نفوا الرسالة وضعوا موضعها صفة الجنون، فإذا نُفي ما زعموه فقد ثبت ما ادعاه[٣] ، ولما أراد سبحانه وتعالى إثبات الأمر وبيانه على حقيقته وإزالة تهم أعداء رسول الله والرافضين لما جاء به – والله تعالى يعلم برغم معرفتهم بها – دحض ذلك كله بقول لا شك فيه ولا لبس، وأورد فيه من المؤكدات ما يجعلهم صامتين عاجزين، وكلما زادوا في المكابرة زاد الله في التأكيد، بل ويؤكد لهم إكرامه الدائم لنبيه الكريم.

وتأتي ي" إنَّ" من أكثر حروف التوكيد وروداً في السورة، ولا يخفى علينا ما في ذلك من تناسبٍ واضحٍ مع جوّ السورة العام الذي يكثر فيه هذه الحرف، فيتولد جوٌ إيقاعي إيحائيٌ، وأول الآيات التي تواجهنا مؤكدة بهذا الحرف، هما الآيتان القصيرتان الثالثة والرابعة، حيث يرد فيهما عدة مؤكدات لعظم الهدف الذي ترمي إليه، وهو تأكيد صحة نبوته عليه الصلاة والسلام وسلامته مما نسب إليه، وهذه أمور أنكرها المشركون تماماً، وشككوا فيها، فجاء الكلام مؤكداً بما يثبته.

إنَّ: وهي من ا لحروف المشبهة بالفعل التي تؤكد مضمون الجملة وتحققه[٤] .

وقد ورد في شرح المفصل " إن قول القائل: إن زيداً قائم ناب مناب تكرير الجملة مرتين، ألا ترى أن قولك: إن زيداً قائمٌ أوجز من قولك: زيد قائمٌ ، مع حصول الغرض من التأكيد"[٥] .

وينبه عبدا لقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز إلى أن هذا الحرف يدل في أصل وضعه على التأكيد[٦] .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ص٦٠، ٦١.
(٢) انظر: أيسر التفاسير، ص١٤٠٦.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ٦٢.
(٤) انظر: شرح المفصل، جـ٨/ ص٥٩.
(٥) انظر: شرح المفصل، جـ٨/ ص٥٩.
(٦) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، جـ١/ ص١٣٧.

لام الابتداء: وهي من أنواع " اللام" غير العاملة ، أما فائدتها فهي لتوكيد مضمون الجملة[(١)] .

يقول ابن يعيش: " إذا أدخلت اللام على إنَّ، وقلت: إنَّ زيداً لقائم، ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات"[(٢)] .

فائدتها المعنوية: توكيد مضمون الجملة المثبتة، وإزالة الشك عن معناها المثبت[(٣)] .

وقد اجتمع هذان الحرفان في الآيتين الثالثة والرابعة من هذه السورة ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ القلم: ٣ – ٤، فجاءت الشهادة الكبرى والتكريم العظيم من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمات العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله في ميزانه لعبد الله وتلقيه لهذا بهذا الثبات، دون أن تتأرجح شخصيته دليل على عظمة تلك الشخصية، والله أعلم حيث يجعل رسالته[(٤)] .

ولما ثبت الله رسوله ﷺ، ودفع بهتان أعدائه في الآية السابقة ﴿ **مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ** ﴾ القلم: ٢، أعقبه بإكرامه بأجر عظيم، وجاء الكلام مؤكداً بمؤكدات متعددة، منها " إنَّ" و" لام الابتداء"[(٥)] ، وتقديم الجار والمجرور والجملة الاسمية، وهذا فيه وعد من الله سبحانه لنبيه بالأجر العظيم المتصل[(٦)] ، كما أفاد كثرة التوكيد فخامة ما أعده الله لنبيه من الأجر والثواب[(٧)] ، وإثبات أن هذا الجزاء دائم مستمر أبداً من الله غير ممنون من الناس؛ لأن عطاء الله لا منَّة فيه، فهو أكرم الأكرمين[(٨)] .

وبعد أن آنس الله نفس رسوله ﷺ ، ووعده بالأجر العظيم الممنوع عاد سبحانه إلى تسفيه قول الأعداء بتأكيد تلبسه بخلق عظيم، فاستعمل المؤكدات التي منها " إن" و" اللام" لإثبات بعده عن الجنون؛ لأن الأخلاق الحسنة تنافي الجنون ولا تجامعه[(٩)] ، فكل هذه المؤكدات ردٌ على إنكار المشركين، وأفادت هذه المؤكدات – إلى جانب ذلك – ثبوت هذه الصفة ثبوتاً راسخاً على وجه الدوام الذي لا ينفك عنه أبداً[(١٠)] .

وقد وردت " إنَّ " المؤكدة في آيات السورة أكثر من غيرها من المؤكدات الأخرى، وذلك لأسباب – أرى – منها مناسبة الجو العام للسورة الذي بدأ بنون،

(١) انظر: مغني اللبيب، جـ١/ ص٢٥٦.
(٢) شرح المفصل، جـ٨/ ص٥٩.
(٣) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، جـ١/ ص٦٥٩.
(٤) انظر: في ظلال القرآن، م٦جـ٢٩/ ص٣٦٥٦.

(٥) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص١٤٥.
(٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن، جـ ٢٩/ص١٠٨١.
(٧) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص١٤٥.
(٨) انظر: التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ص٦٣.
(٩) انظر: التحرير والتنوير جـ٢٩/ ص٦٣، روح المعاني ، ج / ص٢٥.
(١٠) انظر: محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص ١٤٥.

وختمت معظم آياته بحرف النون، ففي هذا تناسب وانسجام يؤدي إلى التناسق والإيحاء الصوتي العذب.

وقد يكون من الأسباب أنها في أصل وضعها تدل على التأكيد – لما قاله عبد القاهر في الدلائل[(١)].

ومن محاسنها أنها تربط الجملة بما قبلها ربطاً يضفي رونقاً في النظم وجمالاً أكثر من غيرها من الحروف[(٢)]، كما أن فيها إيجازاً، فتأكيد الكلام من وسائله التكرار الذي تؤدي كثرته إلى النفور أحياناً، فعدل عنه إلى وسائل لها مزية التكرار في تأكيد معنى الجملة، مثل " إنَّ" و" لام الابتداء"[(٣)].

الجملة الإنشائية

الجملة الإنشائية هي التي لا تحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته؛ لأنه ليس للفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه[(٤)].

والإنشاء ضربان: طلبي وهو يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل، وأنواعه خمسة، وهي: الأمر ، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء[(٥)].

والإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ وأساليب، منها: صيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء.

أما الضرب الطلبي فتفصيله وفقاً لشواهده في آيات السورة، فعلى النحو التالي: الأمر ، النهي ، الاستفهام.

أولاً: الأمر: طلب الفعل بصيغة مخصوصة، والأصل في الأمر أن يكون بحرف الأمر، وهو اللام، فإذا قلت: اضربْ، فأصله لتضرب[(٦)].

وقد وردت صيغة الأمر بلام الأمر في آية واحدة من سورة القلم، وهي قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ القلم: ٤١.

ففي هذه الآية خرج الفعل " فليأتوا" عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر دلَّ عليه السياق، وهو تعجيز هؤلاء المشركين عن أن يكون لهم شركاء ينصرونهم، فالله سبحانه وتعالى يتحداهم معجزاً لهم عن إحضار شركائهم، وحقّر هؤلاء الشركاء، وندد بهم بإضافتهم إليهم، وفي هذا إبطال لصفة الإلهية عنهم[(٧)].

---

(١) انظر: اللاغة وفنونها وأفنانها، ج١/١٣٧- دلائل الإعجاز، ص٢٥٠.
(٢) انظر: دلائل الإعجاز، ص١٣٩.
(٣) انظر: النحو الوافي، جـ١/ ص١٥٩.
(٤) علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ص٤٧.
(٥) الإيضاح، للقزويني، ص٢٢٧.
(٦) انظر: شرح المفصل، جـ٧/ ص١٥٨.
(٧) انظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ص٢٦١- فتح القدير، للشوكاني، ص٢٧٥- في ظلال القرآن، ص٣٦٦٧- تفسير القرآن وإعرابه وبيانه، ص٩٣.

ثانياً: النهي: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة هي المضارع مع اللام الناهية[١].

يقول ابن هشام: " من أوجه " لا" أن تكون موضوعة لطلب الترك، وتختص بالدخول على المضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطباً أو غائباً أو متكلماً"[٢].

وقد تخرج صيغة النهي عن مدلولها الرئيس، وهو طلب الكف إلى معانٍ تعرف بالقرائن، وتستفاد من السياق، مثل: الإرشاد، والتهديد، والتوبيخ، والتسلية، والتصبر، والتحقير، والتمني.

وقد جاء النهي بحرفه " لا " في ثلاثة مواضع في سورة القلم، هي: قوله تعالى: **﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾** القلم: ٨، وقوله **﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾**القلم: ١٠.

فنجد في هاتين الآيتين نهياً من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ عن طاعة المكذبين، والطاعة هي قبول ما يُبتغى عمله، ووقوع فعل " تُطع" في حيز النهي يقتضي النهي عن جنس الطاعة لهم، فيعم كل إجابة لطلبٍ منهم[٣].

وقد نهى الله عن طاعة المكذبين بدلاً من النهي عن تصديقهم؛ لأن الكلام فيه إشارة إلى ما هو أبعد من مجرد عدم التصديق، وهو لازمه، إذ يلزم من عدم التصديق للحديث عدم إجابته والأخذ بمضمونه، وهذا أبلغ من النهي عن التصديق، فقد لا يصدق المرء محدثه فيما يدعوه إليه، ثم تغلبه نفسه على متابعته والاستجابة له فيما يفعل، ولهذا اتجه النهي مباشرة إلى المطلوب منه، وهو عدم الاستجابة لتلك الدعوة التي يدعو إليها المكذبون، فهم لا يدعون إلى خير أبداً[٤]. والمراد من الطاعة المنهي عنها المداراة، وهي إظهار خلاف ما ينبغي، أي خلاف ما في ضميره ﷺ استجلاباً لقلوبهم، وليس المراد منها الطاعة الحقيقية، حيث عبر بها للمبالغة في التنفير[٥].

والآية الثالثة التي ورد فيها نهي، هي قوله تعالى: **﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾** القلم: ٤٨، فقد أفاد النهي تسلية الرسول ﷺ وتصبيره وشد عزمه على الصبر ووجوب الاستمرار في الدعوة[٦]، كما أن فيه تحذيراً لرسول الله من أن يدعو ربه وقد غلبه الغيظ، وهذا يوضح أن المطلوب من رسول الله ﷺ بهذا النهي هو كظم غيظه وقهره، وألا يجعل له سلطاناً عليه[٧].على أن

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، جـ١/ ص١٥٥.
(٢) مغني اللبيب، جـ١/ ص٢٧٣.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ص٦٩.

(٤) التفسير القرآن للقرآن، ص١٠٨٤.
(٥) انظر: روح المعاني ،ج: ٩ /٢٦- فتح القدير، ج ٤ /٢٦٨.
(٦) انظر: فتح القدير، ج ٤ /١١٥.
(٧) انظر: فتح القدير، ج ٤ /١١٦.

أكثر ما يفيده النهي هنا هو التهييج والإلهاب للتصميم على معاصاة الكافرين[(١)] .

ثالثاً: الاستفهام[(٢)] : هو طلب العلم والفهم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة.

وأدواته: من الحروف: الهمزة، وهل. ومن الأسماء: من، ما، متى، كم، كيف، أي، أين، أنى، وأيان. والهمزة هي أصل أدوات الاستفهام.

وقد تخرج أدوات الاستفهام عن الغرض الحقيقي لها إلى أغراض أخرى تفهم من خلال سياق النظم، مثل: التقرير، والإنكار التوبيخي والتكذيبي، والتعجب، والأمر، والنهي، والاستبعاد، والتهويل، والتحقير، والتعظيم، والتشويق، وغيره من الأغراض المختلفة.

وقد ورد في آيات سورة القلم صور عديدة للاستفهام وبأدوات مختلفة خرجت عن معناها الحقيقي إلى معاني أخرى أكثرها الاستفهام الإنكاري والتوبيخي، لأنها كانت موجهة للمشركين رداً على مزاعمهم الباطلة.

قال تعالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**﴾ القلم: ٣٥ – ٣٧

فنلحظ في هذه الآيات الثلاث القصيرة وجود أربع أدوات للاستفهام تضمنت معاني متفرقة، فالهمزة في كلمة " أفنجعل" للاستفهام الإنكاري والتوبيخي، والإنكار هنا متسلط على ما دار بين المشركين من قول بعد نزول قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ القلم: ٣٤، كان صناديد كفار قريش يرون وفرة حظهم في الدنيا، وقلة حظوظ المسلمين فيها، ولما سمعوا الآية قالوا: إن صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هو في الدنيا ، فقال تعالى مكذباً لهم، وراداً عليهم:﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾ القلم: ٣٥ ، الهمزة للاستفهام الإنكاري ،إنكار لتساوي الفريقين، فالله تعالى لن يحيف ولن يجور في حكمه، فيجعل المسلمين كالمجرمين، ، وكناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير في الآخرة وحرمان المشركين، فرع إنكار التساوي بين المسلمين والكافرين على ما سبق من اختلاف جزاء الفريقين فالإنكار متسلط على ما دار بين المشركين من القول عند نزول الآية السابقة أو عند نزول ما سبقها من آي القرآن التي قابلت بين جزاء المؤمنين وجزاء المشركين كما يقتضيه صريحا قوله (ما لكم كيف تحكمون)إلى قوله(إن لكم لما تحكمون) .

ثم يسفه الله حكمهم وينكره، ويستبعد أن يصدر عمن به ذرة من عقل ﴿ **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ الصافات: ١٥٤، فالاستفهام بـ " ما" و" كيف" استفهام إنكاري لحالة حكمهم الذي هو مساواة المسلمين بالمشركين،

---

(١) انظر: الكشاف، ج ٤ /٥٨٦- روح المعاني، ج ٩ / ٢٦.

(٢) انظر:

- مغني اللبيب، جـ١، ص٢٣.
- الإيضاح: ٢٢٨.
- البلاغة فنونها وأفنانها، ١٦٨.

فأي شيء حصل لكم حتى ادعيتم هذه الدعوى؟ وكيف أصدرتم هذا الحكم؟ وما حجتكم فيه؟ وما دليلكم عليه؟ وهل كان أمر الجزاء مفوضاً إليكم، تتحكمون فيه بما شئتم؟ وفي هذا تعجب من كيفية صدور هذا الحكم واستبعادٌ له، وأنه لا يصدر من عاقل.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ**﴾ القلم: ٣٧ جاء الاستفهام بـ " أم" المنقطعة، وهذا فيه إضراب انتقال من الإنكار التوبيخي إلى الإنكار التكذيبي، فالاستفهام المقدر من " أم" إنكار" ؛ لأن يكون لهم كتاب، وتقديم (لكم) على المبتدأ كتاب ؛ بسبب تنكير المبتدأ. وحاصله أن حكمهم الذي أصدروه لا يخلو من أن يكون سنده كتاباً سماوياً نزل من السماء، أو أن يكون سنده عهداً من الله بأن يعطيهم ما يقترحون ﴿ **أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** ﴾ القلم: ٣٩. وإما أن يكون لهم كفيل على الله ﴿ **سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ** ﴾ القلم: ٤٠ ،وإما أن يكون تعويلاً على نصر شركائهم ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ القلم: ٤١ فالاستفهام جاء على سبيل التهكم إمعانا في الإنكار عليهم. وفي هذا تحد لهم بإفلاسهم وسخرية بهم، أي أعندكم كتاب جاءكم به رسول من عند الله تقرأون فيه هذا الحكم الذي حكمتم به لأنفسكم بأنكم تعطون يوم القيامة أفضل مما يعطى المؤمنون؟

ومعلوم أن إدعاءهم هذا منفي، فليس لهم كتاب، ولا عهد عند الله، وليس لهم شركاء يعينونهم، فعُلم أن دعواهم باطلة فاسدة، وفي هذا إدماج بالتعريض بأنهم أميون، ليسوا أهل كتاب، وأنهم لما جاءهم كتاب الله لهدايتهم وإلحاقهم بالأمم ذات الكتاب كفروا وكذبوا.

(أم تسألهم أجرا)(أم عندهم الغيب):امتداد لإنكار ما يقومون به وتقديم ،(عندهم) على المبتدأ وهو معرفة لإفادة الاختصاص ، أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله .

أحوال الجملة في السورة

قلنا سابقاً إن الجملة كلمات تأتلف ، لتدل على معنى أو هي كما قال النحاة:

" اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"(١) .

والجملة لا تكون تامة إلا إذا استوفت ركنين، هما المسند إليه والمسند، وإذا ما حذف منها أحد هذين الركنين فإن النحاة يلجأون إلى التقدير، ليستقيم الكلام.

وقد أخذ علماء البلاغة هذين المصطلحين، وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني، فانحصرت

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، جـ١/ ص١٤.

في المسند والمسند إليه، وما يتبعها من ذكر وحذف، وتقديم وتأخيروقصر ... [١].

التقديم والتأخير:

يقول عبد القاهر الجرجاني: " هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر، فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قُدم فيه شيء، وحُول اللفظ من مكانه إلى مكان" [٢].

ومن شواهد التقديم والتأخير في آيات السورة:

١- **تقديم المسند إليه:** ويقدم لاعتبارات متعددة منها: التشويق، وإفادة التخصيص، وإفادة التعميم، وتقوية الحكم، وغير ذلك. ومن شواهده في آيات السورة:

قوله تعالى: ﴿ **بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾ القلم: ٢٧حيث قُدم المسند إليه " نحن" ، وهو المبتدأ على المسند، والخبر " محرومون" ؛ " وذلك لإفادة التخصيص، فهم بيتوا حرمان المساكين من فضول ثمرتهم، فكانوا هم المحرمون من جميع الثمار، فالحرمان الأعظم قد اختص بهم إذ ليس حرمان المساكين بشيء في جانب حرمانهم.

فتقديم المسند إليه بأن أُتي به ضمير بارز، مع أن مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول مقدراً مؤخراً عنه؛ لأنه لا يتصور إلا بعد سماع متحمله، فلما أُبرز الضمير، وقُدم كان تقديمه مؤذناً بمعنى الاختصاص أي القصر، وهو قصر إضافي" [٣].

٢- **تقديم المسند:** حق المسند في الجملة التأخير، ولكنه قد يُقدم لأغراض بلاغية مختلفة.

ومن شواهد تقديم المسند في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ الْعَذَابُ** ﴾ القلم:٣٣ فكلمة " كذلك" مسند مقدم، وكلمة " العذاب" مسند إليه، فُقدم الخبر للاهتمام بإحضار صورته في ذهن السامع [٤].وقد ذكر الألوسي أن الخبر قُدم لإفادة القصر، وتكون " ال" للعهد، أي مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة [٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾القلم: ٣٤

نجد تقديم كلمة " للمتقين" – المتعلقة بمحذوف في محل رفع خبر إن – على المسند إليه – " جنات" ،

(١) انظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصير، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص١٤٤.
(٢) دلائل الإعجاز، عبدا لقاهر الجرجاني، ص١٠٦.
(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ ص٨٦.
(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ص٨٩.
(٥) انظر: روح المعاني، جـ ٩/ ص٣٣.

وهو خبر إن؛ وذلك للاهتمام بشأن المتقين، حتى يسبق ذكر صفتهم العظيمة ذكر جزائها[(١)].

٣- **تقديم متعلقات الفعل:**

تتقدم متعلقات الفعل مثل الجار والمجرور والحال والمفعول على الفعل لأسباب متعددة، منها:

الاختصاص، وأن يكون في التأخير إخلال بالمعنى، والاهتمام بالمتقدم، والغلبة والكثرة، وغيرها من الأسباب المختلفة.

ومن شواهد تقديم متعلقات الفعل في آيات السورة:

تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: **﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾** القلم: ٢٥، حيث قدم الجار والمجرور " على حرد" على متعلقه " قادرين" ؛ لإفادة الحصر، أي غدوا لا قدرة لهم إلا على الحنق والغضب على المساكين لأنهم يقتحمون جنتهم عليهم كل يوم، فتحيلوا عليهم بالتكبر إلى جذاذها، أي لم يقدروا إلا على الغضب والحنق، ولم يقدروا على ما أرادوه من اجتناء ثمر الجنة، كما أن في تقديم الجار والمجرور رعاية للفواصل[(٢)].

ومن شواهد تقديم الجار والمجرور قوله تعالى: **﴿ فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾** القلم: ٤٦، حيث قدم الجار والمجرور، " من مغرم" على متعلقها " مثقلون" ، فيكون فيه إثارة للاهتمام بموجب المشقة وسببها قبل ذكرها، مع مراعاة الفاصلة في الآية[(٣)].

الحذف والذكر:

وما يلحق بالمسند والمسند إليه، هما ركنا الجملة الأساسيين؛ لأغراضٍ بلاغية الحذف والذكر، والحذف وسيلة للإيجاز الذي هو من خصائص اللغة العربية، وحري لكل كلمة أو جملة يفهم معناها بدونها لوجود قرائن تدل عليها أن تحذف، كما أن الحذف بالإضافة لفائدة الاختصار يكون لأغراضٍ بلاغية.

وقد يقع الحذف على المسند إليه أو المسند أو حذف المفعول، ومن شواهد حذف المسند إليه في آيات السورة قوله تعالى: **﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾** القلم: ٢٠، وتقدير الكلام " فأصبحت الجنة كالصريم"، فحذف اسم " أصبح" ؛ لأنه معروف عند السامع، لوجود قرينة في الكلام دالة عليه، وذكر ما قامت عليه القرينة، وإظهار يقلل من قيمة العبارة بلاغياً، وينافي الإيجاز.

ومن شواهد الحذف في الآيات قوله تعالى: **﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾** القلم: ٥ ، حيث حذف المسند إليه، وهو الفاعل، ويكون التقدير " فستعلم يا محمد " وفائدته الاختصار والإيجاز بالإضافة، لأنه معلوم لدى السامع.

(١) انظر: التحرير والتنوير، جـ٢٩/ ٩٠.
(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي، جـ ٩ / ص٣١.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، حـ ٢٩/ ص٨٥.

ومن شواهد الحذف قوله تعالى: ﴿ **أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ** ﴾ القلم: ٤٧، ويكون التقدير " أم عندهم علم الغيب"، حيث أدى هذا الحذف بلاغته في الإيجاز والاختصار الذي هو مطلب العربي[١].

ومن شواهد ذكر ما حقه الإضمار في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾ القلم: ٤٣، حيث ورد ذكر السجود في الآية السابقة، ورغم ذلك ذكر مرة أخرى، والغرض البلاغي من ذكره هو زيادة التقرير[٢].

٤- التعريف والتنكير:

وهما من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين، ويقصدها المتكلم، ولهما أساليب بلاغية متعددة[٣].

ومن شواهد التعريف في السورة في قوله تعالى: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ القلم: ١ ، حيث عُرفت كلمة " القلم" بأل الجنسية؛ لبيان أن المقصود هو جنس القلم الشامل لكل الأقلام التي تكتب بها العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم[٤].

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ الْعَذَابُ** ﴾ القلم: ٣٣ ، فالتعريف في كلمة "العذاب" تعريف الجنس، وفيه توجيه بالعهد الذهني أي عذابكم الموعد، مثل عذاب أولئك والمماثلة في إتلاف الأرزاق والإصابة بقطع الثمرات[٥].

ومن التعريف في السورة تعريف جنات في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ القلم: ٣٤، فإضافة جنات إلى النعيم تفيد أنها عُرفت به، فيشار بذلك إلى ملازمة النعيم لها؛ لأن أصل الإضافة بتقدير لام الاستحقاق، فـ " جنات النعيم" مفيد استحقاقها النعيم؛ لأنه ليس في أحوالها إلا حال نعيم أهلها، فلا يكون فيها ما يكون في جنات الدنيا من المتاعب، مثل الحر في بعض الأوقات أو شدة البرد أو ما يؤذي مثل الحشرات والأشواك ونحو ذلك[٦].

وتعريف شركاء في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ القلم: ٤١ ، بإضافة هذه الكلمة إلى ضميرهم في قوله " شركائهم" لإبطال صفة الشركة في الإلهية عنهم، أي ليسوا شركاء في الإلهية إلا عند هؤلاء، لإن الإلهية الحق لا تكون نسبية بالنسبة إلى فريق أو قبيلة[٧]، كما أن هذه الإضافة تفيد تحقير هؤلاء الشركاء وتنديداً بمن أشركهم مع الله[٨].

(١) انظر: أيسر التفاسير، للجزائري، ص٤١٨.
(٢) انظر: روح المعاني:، جـ ٩/ ص٣٦.
(٣) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، ص٢٩٧.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير ، جـ ٤/ ص٤٢٩.
(٥) التحرير والتنوير، جـ ٢٩/ ص٨٩.
(٦) انظر: التحرير والتنوير، جـ ٢٩/ ص٩١- البحر المحيط، ص٣١٣- روح المعاني: ٩ ص٣٣.
(٧) التحرير والتنوير، ج٢٩/ ص٩٦.
(٨) انظر: نظرت حديثه في التفسير، وهبه الزحيلي، ص١٠٩.

وعرفهم بوصفهم في قوله**{فلا تطع المكذبين}** واختير تعريفهم بوصف المكذبين دون غيره من طرق التعريف لأنه بمنزلة الموصول في الإيماء إلى وجه بناءِ الحكم وهو حكم النهي عن طاعتهم لأنهم كذبوا رسالته. مرجع عاشور

التنكير: ومن شواهد التنكير في السورة تنكير كلمة " أجر" ، وذلك في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾** القلم: ٣ ، حيث أفاد تنكير الأجر تعظيمه، فهو ثواب عظيم لا يقُادر قدرُه، ولا تحد حدوده[(١)] ، لرسول الله ﷺ جزاء صبره وتحمله لأذى قومه.

وقد نكر المسند إليه " طائف" في قوله تعالى : **﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾** القلم: ١٩، وذلك لإفادة إبهامه تعظيماً وتهويلاً لما أصاب الجنة[(٢)] .ومعنى الصريم : هلاك الثمر وقيل الصريم الليل لأنها احترقت واسودّت .

كما نكر المسند إليه المبتدأ شركاء في قوله تعالى: **﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾** القلم: ٤١، حيث جاء تنكير كلمة شركاء في حيز الاستفهام المستعمل في الإنكار، ليفيد ذلك انتفاء الفائدة عن أحد من هؤلاء الشركاء – وهم الأصنام – أو نفعاً لهم.

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن، للسعدي، جـ٧ / ص٤٤٣- محاضرات في تفسير القرآن، لنور الدين عتر، ص١٤٧.
(٢) انظر: محاضرات في تفسير القرآن، ص١٥٨.

وجاءت ساق منكرة في قوله تعالى: **﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾** القلم: ٤٢ حيث أفاد هذا التنكير تهويل الأمر وتعظيمه وإبداء صعوبة الخطب وعظمه كما أفاد تنكيرها الإبهام للمبالغة في الدلالة على أنه أمر مبهم في الشدّة ومنكر خارج عن المعتاد، ويكون المقصود بذلك اليوم هو يوم القيامة الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت لشدة هوله وعظم خطبه.

٥- **القصر:**

ومما يتعلق بأحوال الجملة في العربية أسلوب القصر، ويعني القصر في اللغة الحبس، قال تعالى: **﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾** الرحمن: ٧٢ ، أما في الاصطلاح: فهو تخصيص شيء بشيء بطريقٍ مخصوص[(٣)] .

ومن شواهد أسلوب القصر في الآيات سورة القلم قوله تعالى:**﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾** القلم: ٥٢، حيث وقع القصر بـ " ما وإلا " بين المبتدأ " هو" والخبر " ذكرٌ" ، فقصر القرآن على الذكر، وهو قصر إضافي وقصر قلبٍ؛ لأنه يلقى على المشركين المنكرين الجاهلين، فيوضح لهم سبحانه وتعالى أن القرآن ليس إلا ذكراً وتذكيراً وبياناً للهدى وشرفاً وفضلاً لذويه، فهو ذكر للناس جميعهم، وليس بكلام مجانين كما زعمتم، وفي هذا إبطال لأقوالهم تلك التي قالوها في سياق تكذيبهم بالقرآن، فإثبات أن

(٣) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، حسن البصير، ص١٦٩.

القرآن ذكر يبطل أن يكون مبلغه مجنوناً، فما مبلغه إلا مذكر كما أن القرآن ما هو إلا ذكر.

ومن القصر في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ **بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ** ﴾ القلم: ٢٧، حيث ورد فيها قصر إضافي ، فقصر الحرمان وهو الصفة على الضمير " نحن" وهو الموصوف، والواقع يشهد بأن لهم صفات أخرى غير الحرمان، مثل أنهم رجال، وأنهم تائبون، وأنهم كانوا ظالمين، وفي هذا القصر تركيز على عظم مصيبتهم، وهي الحرمان من ثمار جنتهم جميعاً.

ثانياً: الجمل

١-الفصل والوصل

يقول عبدا لقاهر الجرجاني: " اعلم أنه ما من علمٍ من علوم البلاغة أنت تقوله فيه: إنه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمضُ وأخفى وأدق وأصعب"[(١)].

وتعد قضية الوصل والفصل إحدى أبرز القضايا البلاغية التي شغل بها علماء المعاني بحثاً ودراسة، وتطرق إليها البحث البلاغي منذ القدم، وذلك لأن عليها المعول في الحكم على صحة المعنى وفساده[(٢)].

(١) دلائل الإعجاز ، ص٢٣١.
(٢) مقالة " الفصل والوصل في القرآن الكريم"، مجلة القافلة، العدد ٣٠، ربيع الأول، ١٤١٣هـ، ص٨.

تعريف الفصل والوصل: الوصل لغة: مصدر من وصل الشيء بالشيء وصلاً، أي ضمه إليه. **والفصل لغة:** الحاجز بين الشيئين يمنع اتصالهما[(٣)].والوصل في اصطلاح البلاغيين: عطف جملة على أخرى. والفصل ترك هذا العطف[(٤)].

من شواهد الفصل في آيات السورة قوله تعالى: ﴿**سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ** ﴾ القلم: ٤٠ حيث جاءت الآية استئناف بياني " شبه كمال الاتصال" عن جملة ﴿ **أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ** ﴾ القلم: ٣٩، لأن الأيمان وهي العهود تقتضي الكفلاء عادة، فلما ذكر إنكار أن يكون لهم عهود كمُل ذلك بأن يطلب منهم أن يعينوا من هم الزعماء بتلك الأيمان[(٥)] ، فأين منهم هذا الزعيم الذي يتولى القول بأن لهم كتاباً، أو أن لهم مع الله عهداً، فلما كان الكلام متصلاً معناه مترابطاً لم يكن هناك حاجة للوصل.

ونجد في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ القلم: ٣٤ استئنافاً بيانياً " شبه كمال الاتصال"، لأن من شأن ما ذكر من عذاب الآخرة للمجرمين أن ينشأ عنه سؤال في نفس السامع يقول: فما جزاء المتقين؟، وقد أشعر بتوقع هذا السؤال قوله بعده ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾

(٣) لسان العرب، لابن منظور، جـ١١ ، مادة: ف . ص . ل ، و ، ص. ل.
(٤) انظر: دلائل الإعجاز:٢٣١ ، البلاغة فنونها وأفنانها: جـ٢/ ص١٦٦
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، جـ ٢٩/ ص٩٥.

القلم: ٣٥ [١]، فجاء الكلام مباشراً سريعاً ليتلقاه ذهن ذلك المتسائل ، ويعي الحقائق.

وفي قوله تعالى ﴿ **وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ القلم: ٤٥، حيث جاءت جملة " إن كيدي متين" مؤكدة لجملة " وأملي لهم" ، لذلك جاء الفصل بين الجملتين فقوله تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ ، أي أن تدبيري محكم، فإذا أمليت الظالم فإنما أملي له لأضاعف له العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ القلم: ٤٤،جاءت جملة " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" مستأنفة لبيان كيفية تعذيب الله لهم [٢]، وأن ذلك يتم بأن الله سيدفع بهم إلى جهنم خطوة خطوة، دون أن يشعروا أنهم سائرون إلى هذا البلاء العظيم.

ومن شواهد الفصل في آيات السورة قوله تعالى : ﴿ **عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ** ﴾ القلم: ٣٢، حيث جاءت جملة " إنا إلى ربنا راغبون" بدلاً من جملة الرجاء، أي هو رجاء مشتمل على رغبة إليه بالقول والاستجابة، والتأكيد فيها للاهتمام بهذا التوجه [٣].

ومن شواهد الوصل في السورة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ القلم: ٧، حيث عطف جملة " وهو أعلم " الثانية على " هو أعلم الأولى؛ وذلك لأنهما اتفقا في الإعراب ، فكلاهما في محل رفع [٤].

الجملة الحالية في السورة واقترانها بالواو

يتصل بالفصل والوصل اقتران الجملة الحالية بالواو وعدم اقترانها بها، وقد تجيء الحال تارة مع الواو وأخرى بغير الواو، ومن شواهد اقتران الحال بالواو في آيات السورة قوله تعالى: ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ القلم: ١٩ وقوله ﴿ **خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾ القلم: ٤٣. ﴿ **إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾ القلم: ٤٨.

حيث جاءت جملة الحال " وهم نائمون، وهم سالمون" مقترنة بواو الحال، وذلك لأن المبتدأ ضمير لصاحب الحال، فوجب اقتران الجملة الحالية بالواو.

وقد جاءت جملة الحال في السورة دون أن تقترن بالواو في قوله **تعالى** ﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ** ﴾ القلم: ٣٠، وسبب عدم اقتران الجملة الحالية بالواو أن الجملة الحالية جاءت مضارعاً غير منفي.

---

(١) التحرير والتنوير، جـ ٢٩/ ص٩٠..
(٢) فتح القدير، للشوكاني، ج٤/ص٢٧٦.
(٣) التحرير والتنوير، جـ ٢٩/ ص٨٨.
(٤) تفسير القرآن الكريم، للدرة، جـ ٢٩/ص٦٥.

٢-الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجـاز لغـة التقصير، تقول: أوجزت الكـلام ، أي قصرته، وكلام موجز من أوجز.

والإيجاز اصطلاحاً: أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به.

أما الإطناب لغة: فمصدر أطنب في كلامه إطناباً، إذا بالغ فيه وطول.

واصطلاحاً: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، يقول صاحب الصناعتين:

أقسام الإيجاز: -إيجاز حذف:

وهو أن تحذف جزءاً من الكلام الذي نعبر به عن المعنى المراد، وقد يكون هذا الجزء كلمة أو جملة، وهذا المحذوف لا بد أن يستغنى الكلام عنه، أي يُفهم بدونه، كما أن هذا الحذف لا بد له من قرينة تدل عليه[١].

ومن شواهد إيجاز حذف المسند إليه قوله تعالى: **﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾** القلم: ٢٠، والتقدير أصبحت الجنة كالصريم، وقد أغنى السياق عن إيرادها ؛ لأنه دالاً عليها، فقد سبق ذكرها والذهن على علم بها.

ومن شواهد حذف المضاف قوله تعالى: **﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾** القلم: ٦،حيث حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مكانه، وتقديره بأيكم فتنة المفتون[٢].

ومن شواهد حذف المفعول قوله تعالى **﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** القلم: ٣٣. فحمله " يعملون" فعل وفاعل، وأما المفعول فمحذوف للتعميم ومراعاة للفواصل.

٢-إيجاز القصر:

وهو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، ومنه قوله تعالى: **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** القلم: ٤ ، فاجتمع في هذه الآية جميع محاسن الأخلاق – من صدق ووقار وكرم وشجاعة وأمانة ودين وغيرها من الصفات التي يتصف بها الرسول والتي لا يحصيها كتاب لو عدت، ولكن الله أقدر القادرين، حيث جمع ذلك في كلمات قصيرة أدت إلى المعنى المراد تماماً.

وفي قوله تعالى : **﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾** القلم: ٣٤ ،نجد أن لفظة النعيم جاءت موحية بصفات الجنة، وما فيها من نعيم دائم مستمر لا يشوبه نقص ولا كدر بجميع أشكاله، وأنه نعيم يختلف عن نعيم الدنيا من جميع جوانبه، وهذا النعيم

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص٤٥٩.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ص٢٥٨.

لو أطنبنا في عده لاستغرقنا وقتاً طويلاً ، ولكن النظم القرآني يغنيك عن هذا كله بقول فصل موجز.

ومن شواهد الإطناب في آيات السورة:

- **الإيضاح بعد الإبهام:** في قوله تعالى: **﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** القلم: ٤٤

فجاءت جملة " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" موضحة مفصلة لبيان مضمون " ذرني ومن يكذب بهذا الحديث" باعتبار أن الاستدراج والإملاء يعقبهما الانتقام، فبعد أن توعد بالانتقام أوضح نوع هذا الانتقام، وهو الاستدراج لهؤلاء من حيث لا يشعرون ولا يعلمون أن هذا الاستدراج سيفضي بهم للهلاك[١] .

- **التذييل:**

وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى تأكيداً للجملة الأولى، كما في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾** القلم: ٧ ، فقد جاءت الجملة " وهو أعلم بالمهتدين" تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى، أي مؤكدة لمعناها، فمعرفته تعالى بمن ضل عن سبيله تقتضي معرفة المهتدين، ولكن السياق جاء مطنباً للتأكيد[٢] .

- **الاعتراض:** وهو أن يؤتى بجملة في كلام مفصل بعضه ببعض كما في قوله تعالى : **﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾** القلم: ٤٣ ،فجملة " وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون" معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها، أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون، مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر[٣] .

- **وضع الظاهر مكان المضمر:** وقد جاء ذلك في قوله تعالى: **﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾** القلم: ٤٣، حيث ذكر السجود وجعل ظاهراً رغم أن حقه الإضمار؛ لأنه معروف من خلال السياق، وسبق ذكره في الآية التي سبقت **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾** القلم: ٤٢ ، ولكن السياق اقتضى الإطناب بذكر المضمر لإفادة زيادة التقرير[٤]

الخاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، وبعد.

فلقد قدر لي العزيز الكريم أن أقوم بدراسة هذه السورة دراسة بلاغية تحليلية بذلت فيها القدر المستطاع من الجهد في سبيل استكمال جوانب البحث المطلوب،

(١) التحرير والتنوير، جـ٢٩/ص٩٩.
(٢) التحرير والتنوير، جـ٢٩/ص٦٨.
(٣) التحرير والتنوير، ص٩٩.
(٤) روح المعاني :٩، ص٣٤

وبعد دراسة سورة القلم دراسة بلاغية خرجت على ضوء هذه الدراسة ببعض

النتائج

أولاً: الدراسة البلاغية في القرآن الكريم تحتاج إلى وقت طويل للاطلاع على الجوانب المتعددة والمختلفة في مثل هذا البحث.

ثانياً: وجود رابط كبير في مثل هذه الدراسة البلاغية بين كتب التفسير وكتب البلاغة، معرفة علم النحو فالباحث يحتاج للعودة إلى التفسير والموقع النحوي لمعرفة معنى الآيات وأسباب النزول، حتى يستطيع أن يتعرف على النواحي البلاغية في النظم.

ثالثاً: أن السورة القرآنية مهما قل عدد الآيات فيها حافلة بالفن البلاغي الذي يوضح ويبين ويظهر جمال الآيات وحلاوتها.

خامسا: السورة الواحدة في القرآن الكريم يمكن للباحثين تناولها في دراسات مستقلة في جوانب الأعجاز القرآني المتعدد، دون أن تنقص دراسته من قيمة وأهمية الدراسات الأخرى.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**. جلال الدين السيوطي، علق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى قصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة.

٢. **أسرار ترتيب القرآن**. جلال الدين السيوطي، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٣. **أيسر التفاسير**. لأبي بكر الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

٤. **الإيضاح في علوم البلاغة**. الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب العربي اللبناني، الطبعة السادسة.

٥. **البحر المحيط**. محمد بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، مكتبة ومطابعة النصر الحديثة.

٦. **البلاغة تطور وتاريخ**. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة.

٧. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**. عبدالرحمن حبنكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

٨. **البلاغة فنونها وأفنانها**. فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الثالثة.

٩. **بلاغة القرآن**. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

١٠. **البلاغة والتطبيق**. أحمد مطلوب، حسن البصير، وزارة التعليم العالي، الطبعة الأولى.

١١. **البيان العربي**. بدوي طبانة، دار المنارة، دار الرفاعي، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢. **التحرير والتنوير**. محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٣. **تفسير جزء تبارك.** أحمد مظهر العظمة، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٤. **تفسير جزء تبارك.** محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا.

١٥. **تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير.** الخطيب الشربيني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٦. **تفسير القرآن العظيم.** إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

١٧. **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه.** محمد علي طه الدرة، دار الحكمة، الطبعة الأولى.

١٨. **تفسير القرآن للقرآني.** عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي.

١٩. **تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.** عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه: محمد زهري النجار، مطبعة المؤسسة السعدية بالرياض.

٢٠. **التفسير المنير.** وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٢١. **جواهر البيان في تناسب سور القرآن.** عبدالله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة.

٢٢. **دلائل الإعجاز.** عبدالقاهر الجرجاني، علق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة.

٢٣. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.** محمد محيي الدين عبدالمجيد، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية.

٢٥. **شرح المفصل.** موفق الدين يعيش بن علي النحوي، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٢٦. **صفوة التفاسير.** محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق.

٢٧. **علم المعاني.** بسيوني عبدالفتاح، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.

٢٨. **علم المعاني.** عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.

٢٩. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير.** محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر.

٣٠. **في ظلال القرآن.** سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة والعشرون.

٣١. **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.** لأبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي، تحقيق: محمد التونسي – إبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة.

٣٢. **كتاب الصناعتين.** لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.

٣٣. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل.** محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي.

٣٤. **لسان العرب، لأبي الفضل ابن منظور.** دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٥. **محاضرات في تفسير القرآن الكريم**. نور الدين عتر، دمشق، كلية الشريعة.

٣٦. **مفتاح العلوم**. لأبي يعقوب السكاكي، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٧. **المفردات في غريب القرآن**. لأبي القاسم الأصفهاني. تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة.

٣٨. **المعاني في ضوء أساليب القرآن**. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.

٣٩. **مغني اللبيب**. لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العربية، بيروت.

٤٠. **مقاييس اللغة**. لأبي الحسين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٤١. **منار الهدى في بيان الوقف والابتداء**. أحمد عبدالكريم الأشموني، شركة ومكتبة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الثانية.

٤٢. **النحو الوافي**. عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.

٤٣. **نظرات حديثة في التفسير**. محمد عبدالرحمن الجديلي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.

٤٤. **نظم الدرر في تناسب الآليات والسور**. برهان الدين أبي الحسن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٥. **النظم القرآني في سورة الرعد**. محمد بن سعد الدبل، عالم الكتب.

Pointing out some issues related to Surat Algalam
(English Abstract)

Sarah Nijer Alotaibi

Shaqra University

Then, the wording of the Surah was overviewed: starting from the letters, putting all possible examples from it to the words and some of their types. Reasons behind selecting certain words or verbs and excluding others were mentioned.

Afterwards, the research was developed to include sentences, their types and the internal relations among them, such as switching, deletion, statements and definition.

Sentence structure was surveyed including connection and separation as well as summarization, redundancy and equality.

In this research, it was attempted to identify all sides of semantics in the Surah. Only some examples were mentioned, rather than pointing out all rhetoric evidences.